الفصل الثاني

مدخل إِلَى التفسير المقارن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى التفسير وأقسامه. وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التفسير لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: أقسام التفسير: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

المبحث الثاني: التعريف بالتفسير المقارن وخطواته. وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التفسير المقارن لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: أهمية التفسير المقارن.
- المطلب الثالث: خطوات التفسير المقارن.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الأول

معنى التفسير وأقسامه

تمهيد

التفسير علم شرعي معروف، المراد منه إيضاح كلام الله تعالى، وبيان المراد منه وله قواعد وضوابط وضعها العلماء وتناولوها كشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن كثير رحمهما الله في تفسيرهما أن أصح التفاسير ما كان بالقرآن والسنة، أي تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم ما كان بأقوال الصحابة، ثم بأقوال أئمة التفسير من التابعين، ثم ما كان بلغة العرب. أما الرأي، فلعل مقصود السائل هو التفسير بالرأي المجرد، فهذا يخضع للتمحيص، فإن كان موافقا للكتاب السنة ولغة العرب، فإنه يقبل، وإلا، فإنه يرد، لأن الرأي هنا يرادف الهوى، وهنالك تفاسير بالرأي منها المحمود ومنها المذموم وهو ما تم بيانه من خلال **مطلبان كما في التالي:**

المطلب الأول

التفسير لغة واصطلاحاً

أولاً/ التفسير لغة:

الكشف والبيان، سواء أكان في المعاني أم في الأعيان، فكما يصدُق على تبيين اللفظ المشكل وتوضيحه، يصدق على كشف الشيء المغطى وإظهاره [٣]. ورد في معجم مقاييس اللغة: التَّفسيرُ تفعيلٌ من الفَسْرِ، وأصلُ مادَّتِه اللُّغوية تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه [٤]. ولذا قيلَ: الفَسْرُ: كَشفُ المغطَّى، وقد

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٤/٥٠٤).، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر.

(٤) انظر: المرجع السابق.

زعم قوم أن «فَسَرَ» مقلوب من «سَفَرَ»، يقال: سَفَرَتْ المرأةُ سفوراً؛ إذا ألقت خمارها عن وجهها [٥]. ويتقارب معنى الفسر والسفر عند الراغب الأصفهاني لكنه جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسره وسمي بها قارورة الماء. وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل: سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح [٦]. وقيلَ: هو مأخوذٌ من قولِهم: فَسَرْتُ الحديثَ، أفسُرُهُ فَسْراً؛ إذا بيَّنتُه وأوضحتُه. وفَسَّرْتُهُ تفسيراً: كذلك [٧]. وقال ابن منظور: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله [٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بالحق وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [٩] أي: أحسن بياناً وتفصيلا [١٠]. وزاد ابن عطية لفظ " أفصح " أي: أفصح بياناً وتفصيلا [١١]. قال الإمام الزركشي: "هو راجع إلى معنى الإظهار والكشف وأصله في اللغة من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها، والسبب الذي أنزلت فيه وكأنه تسمية بالمصدر لأن مصدر فعل جاء أيضا على تفعله نحو جرب تجربة وكرم تكرمة"[١٢]. قال ابن حيان: "وينطلق أيضا التفسير على

---

(٥) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (١٤٧/٢)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٦٣٦/١) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(٧) انظر: كتابَ العينِ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (٢٤٦/٦) مادة (فسر) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٨) انظر: لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (٥٥/٥) الناشر: دار صادر –بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

(٩) سورة الفرقان، الآية (٣٣).

(١٠) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (٤٣٢/١) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(١١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٣٧/١١) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، لناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

(١٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (١٤٧/٢) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

التعرية للانطلاق. قال ثعلب: تقول فسرت الفرس عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"[١٣]. والأشهرُ في الاستعمالِ: فَسَّرَ تفسيراً، بتشديدِ حرفِ السِّينِ في الماضي، وبه جاءَ القرآنُ [١٤].

ثانياً/ التفسير اصطلاحاً:

تعددت عباراتُ المعرِّفينَ لمصطلحِ التفسيرِ بتعدد اتجاهاتهم وفنونهم، وتنوعت بين توسُّعٌ أو اختصارٌ، ولعل أجمعها تعريف أبي حيان [١٥]، حيث قال: "التفسير: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآن، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديَّةِ والتركيبيَّةِ، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالَ التركيبِ، وتتماتُ ذلك"[١٦]. ثم خرَّج التعريف وبيَّن محترزاته فقال: "فقولنا: «علم»: هو جنسٌ يشملُ سائرَ العلومِ. وقولنا: «يُبحثُ فيه عن كيفيَّةِ النُّطقِ بألفاظِ القرآنِ»: هذا علمُ القراءاتِ. وقولنا: «ومدلولاتها»، أي: مدلولاتِ تلك الألفاظِ، وهذا علمُ اللُّغةِ الذي يُحْتاجُ إليه في هذا العلمِ. وقولنا: «وأحكامها الإفرادية والتَّركيبية»: هذا يشملُ علمَ التَّصريفِ، وعلمَ الإعرابِ، وعلمَ البيانِ، وعلمَ البديعِ. «ومعانيها التي تحمل عليها حال التَّركيب»: شملَ بقوله: «التي تحمل عليها»: ما لا دلالةَ عليه بالحقيقةِ، وما دلالته عليه بالمجازِ، فإنَّ التَّركيبَ قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصدُّ عن الحملِ على الظَّاهرِ صادٌّ، فيحتاج لأجل ذلك أن يُحملَ على غيرِ الظَّاهرِ، وهو المجازُ. وقولنا: «وتتمات ذلك»: هو معرفةُ النَّسخِ، وسببُ النُّزولِ، وقصةٌ توضّحُ ما انبهمَ في القرآنِ، ونحوُ

(١٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (١٢٦/١) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(١٤) سورة الفرقان، آية ٣٣.

(١٥) محمدُ بنُ يوسفَ بن علي بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، النحوي، اللغوي، المفسر، له مشاركةٌ في عدَّةِ علومٍ، ومن كتبِه: «البحر المحيط» في التفسيرِ، و «تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب»، توفي بالقاهرة بعد أن كُفَّ سنة (٧٤٥هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٣٢١/٢).

(١٦) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (٢٦٠/١).

ذلك» [١٧]. وعرفه الزركشي فقال: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيبها اكانت مكية ومدنيه ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها"[١٨]. وذهب ابن جُزَيّ [١٩] إلى أن معنى التفسير هو: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّه أو إشارَتِه أو نجواه [٢٠]. وقال ابنُ عَرَفَةَ المالكي [٢١]: "هو العلمُ بمدلولِ القرآنِ وخاصِّيَةِ كيفيةِ دلالتِه، وأسبابِ النُّزولِ، والنَّاسخِ والمنسوخِ، فقولنا: خاصيةِ كيفيَّةِ دلالتِه: هي إعجازُه، ومعانيه البيانيَّةُ، وما فيه من علمِ البديعِ الذي يذكره الزَّمَخْشَرِيُّ، ومن نحا نحوه"[٢٢].

التفسير في اصطلاحات المفسرين:

ذكر ابن الجوزي في زاده أن تعريف التفسير هو: "إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي"[٢٣]. ولا يفهم وجه إيرادها أن كلمة (التفسير) لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة [٢٤]. وجاءت بمعنى البيان والشرح والتفصيل وذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ

(١٧) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (٢٦٠/١).

(١٨) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (١٤٨/٢).

(١٩) محمدُ بنُ أحمدَ بنُ جُزَي الكلبي، أبو القاسم، فقيهٌ مالكي، مشاركٌ في عدةِ علومٍ: الأصولِ والحديثِ والتفسيرِ، وله فيه كتابُ «التسهيلِ في علومِ التَّنْزيلِ»، توفي سنة (٧٤١هـ). ينظر: الديباجَ المذهبَ في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدين اليعمري (١٩٥/١).

(٢٠) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي (٣٢/١) الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

(٢١) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، المالكي، أبو عبد الله، تمهَّر في الفنون وأتقن المعقول، إلى أن صار إليه المرجع في بلاد المغرب، وعلق عنه بعض أصحابه كلاماً في التفسير، كثير الفوائد، في مجلدين، وكان يلتقطه في حال قراءتهم عليه، ويدوّنه أولاً فأولاً، وكلامه فيه دَالٌّ على توسع في الفنون وإتقان وتحقيق، وقد طُبع جزء من تفسيره برواية تلميذه أبي عبد الله محمد بن خلفة الأُبّي، توفي ابن عرفة سنة (٨٠٣هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بن العماد العَكري الحنبلي (٧، ٣٨).

(٢٢) تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي (٥٩/١) المحقق: د. حسن المناعي. الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م.

(٢٣) زاد المسير في علم التفسير، بو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (١٢/١)، المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي، (٥١٩/١) مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤هـ.

تَفْسِيرًا﴾[٢٥][٢٦]. قال ابن عطية: "أراد الله تعالى أن ينزل في القرآن النوازل والحوادث التي قدرها وقدر نزوله فيها، ثم أخبر تعالى نبيه أن هؤلاء الكفرة لا يجيؤون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم في هذه بالتوراة والإنجيل إلا جاء القرآن بالحق في ذلك بالجلية، ثم هو أحسن تفسيرًا وأفصح بيانا وتفصيلا"[٢٧]. وذكر أبو حيان أنه الكشف عما يدل عليه الكلام الذي وضع موضع معناه [٢٨].

المطلب الثاني

أقسام التفسير: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

أولا: التفسير بالمأثور:

هو الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسُّنَّة؛ لأنها جاءت مبيِّنة لكتاب الله، أو بما رُوِي عن الصحابة؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين؛ لأنهم تلقوا ذلك غالبًا عن الصحابة. وهذا المسلك يتوخى الآثار الواردة في معنى الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير أصل، ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح [٢٩]. والتفسير بالمأثور يدور على رواية ما نُقِل عن صدر هذه الأمة، وكان الاختلاف بينهم قليلًا جدًّا بالنسبة إلى من بعدهم، وأكثره لا يعدو أن يكون خلافًا في التعبير مع اتحاد المعنى، أو يكون من تفسير العام ببعض أفراده على طريق التمثيل [٣٠]. والاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام:

- **الأول:** اختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية.

---

(٢٥) سورة الفرقان، الآية ٣٣.

(٢٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (٢٦٧/١٩). وزاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٣٢٠/٣).

(٢٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (٣٠٩/٤) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢٨) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (١٠٤/٨).

(٢٩) انظر: مباحث في علوم القرآن (٣٥٠/١) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٣٠) انظر: المرجع السابق.

- **الثاني**: اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل، لما تعنيه الآية أو التنويع.
- **الثالث**: اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معا للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلاله السياق أو غيره [٣١].

ثانيا: التفسير بالرأي:

هو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد –وليس منه الفهم الذي يتفق مع روح الشريعة، ويستند إلى نصوصها– والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقا؛ أي مستندا إلى ما يجب الاستناد إليه بعيدا عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم [٣٢].

وضوابط التفسير بالرأي نقلها السيوطي في الإتقان عن الزركشي منها:

- **الأول**: النقل عن النبي ﷺ، وهذا هو الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير.
- **الثاني**: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي.
- **الثالث**: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي.
- **الرابع**: الأخذ بما يقتضيه الكلام وتدل عليه الأصول الشرعية [٣٣].

---

(٣١) انظر: أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (٣٠/١) أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(٣٢) انظر: الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن محمد أيوب (١٥٣/١) الناشر: دار السلام – الإسكندرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

(٣٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٢٠٩/٤) مرجع سابق.

المبحث الثاني

التعريف بالتفسير المقارن وخطواته

تمهيد

هو منهج من مناهج تفسير القرآن الكريم؛ أي أنه أسلوب من أساليب التفسير ووسيلة من وسائله ومركبا من مراكبه، إلى جانب الأساليب الأخرى المتعارف عليها عند علماء التفسير والتفسير المقارن هو بيان الآيات القرآنية من خلال إيراد ما ذهب إليه المفسرون في النص المتناول، آية أو وحدة من الآيات المترابطة فيما بينها، ثم إعمال الموازنة بين آرائهم واستعراض استدلالاتهم للنظر فيها و بناء عليه ينتقد ويرد المفسر القول المرجوح مبينا تعليله بإيراد الأدلة عليه ثم الاستدلال للراجح بعد بيانه وذلك لأن أقوال المفسرين قد تتباين فيما يذهبون إليه من تحليل النص القرآني إضافة إلى كون الآيات القرآنية حمالة للوجوه المتعددة فلا بد للمفسر الذي يكتب في موضوع ما، ووجد هذه الأقوال في تفسير آية تتعلق بموضوعه، لا بد من وقفة متأنية دقيقة مع إطلاق نظرات ثاقبة للترجيح بين هذه الأقوال ومعرفة المصيب منها وغير المصيب، الراجح والمرجوح، في حالة وقوع التباين و ليختار القول المناسب لموضوعه من هذه الأقوال بغية توضيح عناصر الموضوع والربط بين الأساليب القرآنية في أداء المعنى، وبالتالي للوصول إلى الهدايات القرآنية المتعلقة بالموضوع مجال البحث. إذ يعد التفسير المقارن مصطلح مركب من المصطلحات المعاصرة، وهو ما سيتم توضيحه من خلال التالي:

المطلب الأول

التفسير المقارن لغة واصطلاحًا

أولاً/ المقارن في اللغة:

مشتق من " قرن " ويطلق في اللغة ويراد منه الجمع والوصل والمصاحبة، يقال: "قرنت الشيء بالشيء إذا وصلته به، والقران: الجمع بين الحج والعمرة [٣٤]. والقرين: المصاحب، وقارنته قرانا: صاحبته، وقرينة الرجل: امرأته لمقارنته إياها، وقرينة الإنسان: نفسه لملازمتها ومصاحبتها [٣٥]. والقَرن –بالفتح –المثل في السن، والقِرن –بالكسر–المثل في الشجاعة [٣٦]. وكلمة –المقارنة – في اللغة على اختلاف تصاريفها عنت الجمع والمصاحبة والوصل والموازنة التي تعني المساواة والمكافأة، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [٣٧]. أي: خليلا ومصاحبا [٣٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٣٩]، أي: لا يفارقه [٤٠]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [٤١]. قرناء أي: نظراء من الشياطين [٤٢].

ثانياً/ المقارن اصطلاحاً:

تعني الموازنة بين شيئين أو أكثر والمقابلة بينهما بهدف بيان أوجه التمايز والاختلاف والائتلاف ثم الترجيح بالأدلة، فإن هذا اللفظ بهذا المعنى لم تعرض له المعجمات اللغوية القديمة، وإنما عرض له المعجم

---

(٣٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٣٣٦/١٣) مادة (قرن) الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٣٥) انظر: لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (٥٥/٥).

(٣٦) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٧٦/٥).

(٣٧) سورة النساء، الآية ٣٨.

(٣٨) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (٣٥٨/٨).

(٣٩) سورة الزخرف، الآية ٣٦.

(٤٠) انظر: معالم التنزيل، البغوي (١٣٩/٤).

(٤١) سورة فصلت، الآية ٢٥.

(٤٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٤ / ١٣٩).

الوسيط حديثا، فجاء فيه: "قارن الشيء بالشيء: وازنه به، وقارن بين الشيئين أو الأشياء: وازن بينها، فهو مقارن، ويقال: الأدب المقارن، والتشريع المقارن "(٤٣).

ثالثاً/ التفسير المقارن في الاصطلاح:

عرفه بعض المحدثين في مصنفاتهم، وممن عرفه الدكتور أحمد الكومي في كتاب "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" فقال: "التفسير المقارن هو بيان الآيات القرآنية على ما كتبه جمع من المفسرين بموازنة آرائهم والمقارنة بين مختلف اتجاهاتهم والبحث عما عساه يكون من التوفيق بين ما ظاهره مختلف من آيات القرآن والأحاديث وما يكون ذلك مؤتلفا أو مختلفا من الكتب السماوية الأخرى "(٤٤).

المطلب الثاني

أهمية التفسير المقارن

امتاز علم التفسير بمميزات من جهات متعددة منها:

١- **بالنسبة للموضوع:** فموضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

٢- **بالنسبة للغرض:** فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

٣- **بالنسبة لشدة الحاجة:** فلأن كل عمل ديني أو دنيوي عاجلٍ أم آجلٍ مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى(٤٥).

---

(٤٣) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٧٣٥/١) مادة (قرن). التفسير المقارن دراسة تأصيلية، د. مصطفى إبراهيم المنشي (ص: ١٤٥) مجلة الشريعة والقانون -العدد السادس والعشرون -ربيع الأول ١٤٢٧هـ.

(٤٤) كتاب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (ص: ١٤).

(٤٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (١٩٩/٤) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

وقد ارتبط المقارن وجودا وعدما بوجود الإنسان وظهور فكره، فهو مقارن بطبعه لما أوتي من مؤهلات ذهنية ونفسية خاصة جعلته يرتاح للحسن وينقبض عن القبيح، وحيثما كانت لحركته في الحياة فكرًا وأثرًا ثقافيا، كان تحركه في الروح والسير إلى جانب الفكر متحسسا به، لما يعتري الفكر البشري من النقص وما يشوبه من السهو واحتمال في الخطأ، وهو بذلك متسع في مجال الترجيح والتفاضل بين الآراء والأفكار، بين الحسن والأحسن، والمهم والأهم، والمناسب والأهم. وكل ذلك يؤكد الحاجة إلى ممارسة المقارنة كما هو الحال في سائر مجالات الفكر الإنساني، خصوصا وأن حركة الفكر في التفسير لا متناهية، وآفاق المعاني متنامية، إذ أن فهم كلام الله تعالى لا غاية له (٤٦).

ويمكن إبراز أهمية التفسير المقارن من خلال النقاط التالية:

١. نيل شرف خدمة كتاب الله تعالى، فإن شرف العلم من شرف المعلوم، وطلب معنى كلام الله تعالى هو أول ما يحسن بطالب علم التفسير البحث، وأول المعلومات التي يقصدها من يريده، وتنبع أهمية دراسة التفسير المقارن من الموضوع نفسه، إذ أنه لون من ألوان التفسير يتصل اتصالا وثيقا بالآيات القرآنية تفسيرًا وبيانًا، بل إنه يهدف إلى تثبيت المعنى الأنسب للآيات الكريمة، من بين أقوال كثيرة تداولها المفسرون، وبهذا تبرز أهميته في تصحيح مسار التفسير، وضبطه بقواعد علمية مدروسة وتنقيته من الأقوال الضعيفة المبنية على أسس غير صحيحة، وإبراز القول الراجح، القائم على الدليل الصحيح والحجة القوية(٤٧).

(٤٦) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية تطبيقية "، محمود عقيل العاني (ص: ١٧٥) أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة فلسفة أصول الدين تخصص (تفسير).

(٤٧) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية تطبيقية "، محمود عقيل العاني (ص: ١٦٤) أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة فلسفة أصول الدين تخصص (تفسير).

٢. اتصال التفسير المقارن بجملة من العلوم المختلفة والمعارف المتنوعة التي ينبغي على المفسر الإلمام بها مما يتحصل بها على ملكة التفسير.

٣. تكوين ملكة الموازنة والمقارنة القائمة على القواعد العلمية الصحيحة الموصلة إلى معرفة أسباب الخلاف عند المفسرين، ومناحيهم في القول والوقوف على مناهجهم واتجاهاتهم العقدية والعلمية، والمؤثرات في تحصيل فنونهم ومعارفهم التي برعوا فيها وتقدموا (٤٨).

٤. يعد الوسيلة المنهجية العلمية للارتفاع بالمستوى العلمي فهو بمثابة رياضة للعقل بشحذه وتمرينه وتدريبه، وتنمية القوى الفكرية ليرتقي في عالم الاستنباط والترجيح، وهدفه محاولة تشخيص الأسس التي يقوم عليها في مجالاته المختلفة المتعلقة به، لغة وقراءة، فهمًا وبيانًا، وبالرجوع إلى القرآن الكريم والقواعد الجارية فيه ومباحثه التي لها صلة به (٤٩).

٥. التزود بفنون العلم والمعرفة وقواعد المنطق الصحيح وأساليب الاحتجاج والحوار، لتكون لديه القدرة على الموازنة الهادفة والموضوعية والوصول إلى النتائج الصحيحة، ثم القدرة على الدفاع عن قضايا التفسير وموضوعاته عند المقارنة بين المفسرين، والمقارنة بين القرآن الكريم وغيره من الكتب (٥٠).

٦. تقديم ثقافة قرآنية واسعة تجع القارئ يعرف أن لتفسير الآية الواحدة توجيهات مختلفة وروايات متعددة، وماذا قال العلماء الآخرون في أي قول نسمعه أو نقرأه، لنحصل على أقل قدر من الاجتماع على أي آية نريد قراءة تفسيرها، فالتفسير الواحد مهما كان قائله لا يعد حجة، لأنه قول الله تعالى، وقول

(٤٨) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية "، د. مصطفى إبراهيم المنشي (ص: ١٩٠).

(٤٩) انظر: المرجع السابق.

(٥٠) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية "، د. مصطفى إبراهيم المنشي (ص: ١٩٠).

المفسر مهما كان مستواه العلمي فهو من البشر، ولا يحيط المخلوق بكلام الخالق، لذلك أُهتم بأمر التواتر والأخذ به عند جمهور العلماء [٥١].

المطلب الثالث

خطوات التفسير المقارن

يمكن تلخيص منهج التفسير المقارن في خطوات اساسيه كتحديد موضوع الدراسة وعرض أقوال المفسرين وأدلتهم. مع الاهتمام والعناية بأصول التفسير، ومرجحاته، وطريقة التعامل معها. وتحديد أوجه الاتفاق والاختلاف. ومن ثم المناقشة والترجيح.

١/ علوم اللغة بفروعها:

تعريف علم اللغة: هو العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة [٥٢]. وبمعرفة اللغة والإلمام بقواعدها يعرف المفسر شرح المفردات ومدلولاتها بحسب السياق.

وقال الزركشي في البرهان للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة.. وذكر منها: (الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ظاهره المنع ولهذا قال: بعضهم في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد. وقيل: الكراهة تحمل على صرف الآية عن

---

(٥١) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية تطبيقية "، محمود عقيل العاني (ص: ١٦٦).

(٥٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب (٧/١) الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها) [٥٣].

وقال أبو الليث: " جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير"[٥٤].

٢/ علم البلاغة:

مما يتوصل به المفسر إلى فهم النص وتحديد معناه والغوص في أعماقه علم البلاغة، وبلاغة القرآن الكريم هي إحدى وجوه إعجازه لتكون دالة مؤدية إلى فهم مراد الله تعالى، فعلى المفسر الذي يريد فهم كلام الله تعالى أن يتعاطى علوم البلاغة ويبحث في أسرارها، فإنها تثريه بأصول الكلام العربي وطرق وضعه في سياقاته المتعددة، مما يعينه على الوصول إلى مفهوم النص على حقيقته. ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية البلاغة بقوله: "ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبدًا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم العلم بموضوع البلاغة وبمكان الشرف"[٥٥]. ومن هنا أخذت علوم البلاغة موقعها في بيان القرآن الكريم، فكانت عمدة التفسير، وأعظم أركان المفسر [٥٦]، كما كانت إحدى معايير الترجيح أو التصحيح [٥٧]، بها يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لها، وبه يترجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن [٥٨]، فلا تنحصر

---

(٥٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٢٠٩/٤) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٥٤) انظر: المرجع السابق.

(٥٥) دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ (٣٠٥/١) الناشر: دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

(٥٦) انظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله الزركشي (٣١١/١).

(٥٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي (٣/١).

(٥٨) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/١).

أهميته في بيان إعجاز القرآن، رغم أن هذا الأمر أساسي ولكنه مهم في تمييز المعاني، وتحديد المراد على وجه الدقة[٥٩]. فعلى المفسر أن يكون على قدر من العلم وأن لا يفسر الكلام على ظاهره، بل أن يدرك ما وراء المعنى، ويتأمل مسائل المجاز والتمثيل وغيرها ليستطيع فهم النص الإلهي على حقيقته[٦٠].

فالبلاغة تؤدي إلى تكثير المعنى عن طريق توليدها معنى عن معنى، فمثلًا عن طريق المجاز تتولد معان أخرى غير المعنى الأصلي -الحقيقي-[٦١]. يقول الزمخشري: "لا يتصدّى منهم لسلوك أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما: علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما، وتعب في التنقير عنهما "[٦٢]. وعلوم البلاغة هي: البيان، والمعاني، والبديع، فمن تزود بها كان تفسيره لكتاب الله تعالى أقرب إلى الصواب[٦٣].

أولاً: علاقة التفسير المقارن بعلم البيان:

البيان: هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليتحرز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[٦٤]. فالمعنى الواحد له طرق متعددة تدل عليه، وبمعرفة فنون البيان تتوضح هذه الطرق، وللبيان صلته وأثره الواضح في تحريك دوائر المعنى في النص

(٥٩) انظر: منهج النقد في التفسير، د. إحسان الأمين (ص: ١١٦) دار النشر: دار الهادي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

(٦٠) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية تطبيقية "، محمود عقيل العاني (ص: ٢٠٢).

(٦١) انظر: التفكير البلاغي عن العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حماد صمود (ص٤١٤) المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٤٠١هـ.

(٦٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(٦٣) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية تطبيقية "، محمود عقيل العاني (ص: ٢٠٢).

(٦٤) انظر: مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي (١٦٢/١) دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ.

القرآني، وله قدرة عجيبة على فتح فضاءات واسعة من التأمل والخيال المؤدي إلى تعدد المعاني في الصور التي ينتجها الذهن (٦٥).

فاللفظ ينتقل من معناه الحقيقي بواسطة أساليب البيان إلى معانٍ أخرى تأويلية تسهم في تفسير النص وإثراء معانيه ولا غرابة في ذلك لأن القرآن نزل متحديا أمة البيان والفصاحة، ففتح ببيانه لها آفاق الفهم عبر تأويلاته المتعددة لذا يعد البيان وسيلة مهمة في توسيع نطاق المعاني وصورة كاشفة لها (٦٦).

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (٦٧). والشراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن، وآخذ المثمن، والبائع دافع المثمن، وآخذ الثمن (٦٨). فشبه الله تعالى أنفس المؤمنين بالبضاعة التي تباع، وأنه هو المشتري وذلك على سبيل الاستعارة المكنية(٦٩)، فالأنفس هي المشبه، والمشبه به محذوف وهو البضاعة التي ذكر شيئا من لوازمها وهو الاشتراء، فالأنفس ليست مما يباع ويشترى، فلا بد من التأويل لاستكناه المعنى داخل إطار اللفظ الموصوف ذلك أنه سبحانه لما أمر ببذل نفوسهم وأموالهم في الجهاد عن دينهم والمنافحة عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وضمن لهم على ذلك الخلود في النعيم والأمان من الجحيم، كانت نفوسهم وأموالهم بمنزلة العروض المبيعة، وكانت الأعراض المضمونة عنها بمنزلة الأثمان المنقودة، وكانت الصفقة رابحة لزيادة الأثمان على السلع وأضعاف الأعواض عن القيم(٧٠). فحقيقة الاسشتراء لا تجوز على الله تعالى، لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه، وهو سبحانه مالك الأشياء

(٦٥) انظر: البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية، د. صباح عباس جودي (ص: ٢٧) مجلة القادسية، المجلد ١١، العدد ١-٢، ١٤٢٨هـ.

(٦٦) انظر: أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية (شعر جميل بثينة نموذجا)، د. صباح عباس جودي عنوز (ص: ١٢٣) دار الضياء للطباعة، النجف، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

(٦٧) سورة التوبة، الآية (١١١).

(٦٨) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (٤٥٣/٦) المحقق: صفوان عدنان الداودي. الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

(٦٩) انظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين الصغير (ص: ١٣٢) دار المؤرخ العربي، بيروت الطبعة الأولى –١٤٢٠هـ.

(٧٠) انظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، السيد الشريف الرضي (ص: ١٤٩) دار الأضواء، بيروت، الطبعة لثانية –١٤٠٦هـ.

كلها، وهذا إنما ضرب من المجاز فعبر عن الجهاد بالأنفس والأموال ببيعه لله تعالى تلطفا منه ورحمة في عباده بأن ضمن لهم الجنة[٧١]. فأسلوب البيان وضح مهمته في تكثيف عملية التأويل، وأسهم في التفسير المقارن ليوضح لنا النص بغير معناه الظاهر، فتعدد بذلك المعنى، والمعنى المؤول هو الأرجح لما فيه من تبيان للحقيقة[٧٢].

ثانياً: علاقة التفسير المقارن بعلم المعاني: قد يسهم علم المعاني في دلالاته على توفير معانٍ إضافية للألفاظ يُتوصل بها إلى تفسير النص الكريم، وهو محض التوصل إلى المعنى المراد[٧٣]. وأدواتها كما ذكرها التفتازاني[٧٤] أدواتها وهي: أحوال لإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل والقصر والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وأحوال الإنشاء وغيرها[٧٥]. ومن مباحثها: التقديم والتأخير، ففيه زيادة إيضاح للمعنى وحسن موقع في النفوس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ﴾[٧٦]. فالآية تتحدث عن الرجل الذي نصر موسى عليه السلام ودافع عنه وحذره من آل فرعون، فقد وصف هذا الرجل بثلاث صفات: الإيمان، من آل فرعون، كتمان إيمانه. وقوله "آلِ فِرْعَوْنَ" متعلق بـ " يَكْتُمُ" لكنه قدم عليه، فلو أُخّر وقيل: يكتم إيمانه من آل فرعون، لكان المعنى أنه يكتم إيمانه خوفا من آل فرعون، وفي هذا إخلال بالمعنى المراد من تقديمه: وهو أن يُعرف بأن الرجل الذي دافع عن موسى ونصره وحذره من فرعون وحاجج فرعون فيه، كان هو من آل فرعون، وقيل أنه ابن عمه وليس القصد أنه يكتم إيمانه خوفا منهم، فبذلك يتوضح المقصود من الآية ويُعرف الهدف من التقديم، وهو إظهار عناية الله تعالى لموسى

---

(٧١) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (١٢٥/٥) دار المرتضى، بيروت، الطبعة ١٤٢٧هـ.

(٧٢) انظر: التفسير المقارن "دراسة تأصيلية تطبيقية "، محمود عقيل العاني (ص: ٢٠٥).

(٧٣) انظر: المرجع السابق (ص: ٢٠٥).

(٧٤) هو: سعد الدين، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، من أئمة العربية والبيان والمنطق، كانت في لسانه لكنة. من كتبه (تهذيب المنطق-المطول-المختصر) توفي سنة ٧٩٣ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢١٩/٧).

(٧٥) انظر: مختصر المعاني، سعد الدين التفتازني (ص: ٢٨) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت — لبنان ١٤٢٤هـ.

(٧٦) سورة غافر، الآية ٢٨

عليه السلام فقد جعل من آل فرعون من يدافع عنه ويجادلهم فيه ويناقشهم من أجله، فعلم المعاني أدى غايته وأظهر المعنى بطريق التقديم، ولولا هذا الأسلوب لفهم المعنى بشكل آخر، ولما عرف أن هذا الرجل هو من آل فرعون، فأصبح هناك تعدد للمعنى، بموقع " مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ" في الآية، وبها يتعين مقارنة النص، فإن كانت صفة لـ " يَكْتُمُ" يكون المعنى كتم إيمانه خوفا من آل فرعون، وان كانت صفة لـ " رَجُلٌ" ومتعلقة بـ " يَكْتُمُ" فالمعنى سيكون أنه رجل من آل فرعون وهو يكتم إيمانه، وهذا هو المعنى الذي أراد الله إظهاره حتى تتبين عناية الله تعالى لموسى عليه السلام، بأن يجعل له ردءاً وناصرًا من أعدائه، وهو المعنى الأرجح في الآية[٧٧].

ثالثاً: علاقة التفسير المقارن بعلم البديع:

هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاءً، ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى[٧٨]، وهو ضربان: الأول ضرب يرجع إلى المعنى فيسمى (المحسنات المعنوية). الثاني: وضرب يرجع إلى اللفظ فيسمى (المحسنات اللفظية).

ومن أنواعه: الطباق والجناس والتقسيم والترديد والارداف والمقابلة والتتميم والاستدراك والتجريد والتجاذب والترصيع والتلميح، ومنها المشاكلة والالتفات والتورية وغيرها، وفي بعض هذه الأنواع يكثر المعنى ويزداد فيؤثر في تفسير النص القرآني[٧٩]. ومن مضانه التورية ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ﴾[٨٠] فلفظة التورية في الآية الكريمة هي جَرَحْتُمْ ولها معنيان: أولها قريب ظاهر غير

(٧٧) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١٦٢/٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٥٥٦/٤)

(٧٨) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (٢٩٨/١) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت

(٧٩) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٥٠/١) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

(٨٠) سورة الأنعام، الآية ٦٠.

مراد وهو إحداث تمزّق في الجسم. والثاني بعيد خفي مراد وهو ارتكاب الذنوب واقترافها [٨١]. أو أن الجرح هو العمل بالجارحة، وأصل الجارحة من الجوارح وهي الطير والسباع [٨٢]. فنرى أن التورية خبأت المعنى الحقيقي وأظهرت معنى آخر لا يُراد من النص، وقد يراد بـ " جَرَحْتُمْ" هو ما عملته جوارحكم (أيديكم) في النهار من حسنات أو سيئات [٨٣]. وبذلك يعود هذا المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي، فمن خلال التورية تعددت المعاني، والمعنى الأرجح في "جَرَحْتُمْ" هو ما عملته أيديكم، فالله تعالى عالم بكل ما تعملونه فيها، فهو عالم الغيب ولا يخفى عليه شيء، وجاء المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [٨٤] أي: كسبوا، ويقال لفلان جارحة أهله: كاسبهم، وامرأة لا جارح لها أي لا كاسب لها[٨٥]. هذه الأمثلة تعكس دور البلاغة بأقسامها (البيان والمعاني والبديع) في التأثير على اتجاهات المعنى من خلال تغيير دلالتها في سياق الكلام، فالأداء البلاغي يوسع في رحاب المعنى ويثري النص التفسيري المقارن معنى واتجاها ومنهجا.

٣/ علم القراءات:

أولاً/ تعريف القراءات في اللغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ، وهي الجمع والضم، يقال: ما قرأت الناقة جنينًا أي لم تضم رحمها على ولد، قال أبو عبيدة: سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور، فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي جمعه وقراءته [٨٦]. والقارئ لكل مكتوب من شأنه أن يضم أصوات الحروف في ذهنه لتتكون الكلمات التي ينطق بها [٨٧].

---

(٨١) انظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق (١٢٥/١) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: بدون.

(٨٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٥١/١) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٨٣) انظر: أحكام القرآن، ابن عربي (٣٢/٢).

(٨٤) سورة الجاثية، الآية ٢١.

(٨٥) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة التيمي (١/ ١٥٤)، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

(٨٦) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٥٤٢/٧).

(٨٧) انظر: مدخل في علوم القراءات، السيد رزق الطويل (٢٧/١) الناشر: المكتبة الفيصلية. الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

ثانياً/ تعريف القراءات في الاصطلاح: القراءات وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية، أو التصريفية، أو النحوية واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقص؛ لأن التناقض والتضارب يتنزه عنهما الكتاب العزيز، وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٨٨)، ولأن التناقض في القول دليل بطلانه، وقد قال رب العالمين: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٨٩).

وهذا الاختلاف ينحصر في وجوه ثلاثة:

- **الأول**: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.
- **الثاني**: اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.
- **الثالث**: اختلافهما في اللفظ والمعنى، وامتناع اجتماعهما في شيء واحد جوازًا، بل يتفقان من وجه آخر يساير المعنى العام وينتفي معه التضاد (٩٠).

وبهذا العلم يعرف المفسر كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض (٩١). ولقد اهتم المفسرون بعلم القراءات القرآنية في تفاسيرهم وتأثروا بها، حيث تعتبر القراءات القرآنية من أقدم العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، لأنها صحبت النص القرآني منذ بداية نزوله، ولصلتها الوثيقة بالنحو والصرف والتفسير وغيرها من العلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم. فالعناية بها نتيجة مباشرة للعناية بالقرآن في نصه كتابة وتلاوة وإلى اللغة باعتبارها الوعاء الذي نزل به القرآن الكريم. فهي تعطي معاني جديدة في بيان معنى المفردة في سياق الآية الكريمة، فالنطق دائما ينسجم مع المعنى الذي يفهمه القارئ، ويستحسن القراءة اعتمادا على هذا الاعتبار، يقول ابن تيمية–رحمه الله–: " ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا

(٨٨) سورة النساء، الآية ٨١.

(٨٩) سورة فصلت، الآية ٤٣.

(٩٠) انظر: مدخل في علوم القراءات، السيد رزق الطويل (١/٢٩-٣٠).

(٩١) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (١/١٩١).

من وجه متباينا من وجه فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا"[٩٢]. مما يدل على أن بعض القراءات يتعدد فيها المعنى، فكأن كل قراءة منها بمعنى آية جديدة.

٣/ علم الفقه وأحكامه:

أولاً/ تعريف الفقه لغة: الفهم [٩٣]، وهو إدراك معنى الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٩٤]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقّهه في الدِّين» [٩٥].

ثانياً/ تعريف الفقه في الاصطلاح: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية [٩٦]. ويتعين على المفسر معرفة الفقه لكونه أداة مهمة من أدوات التفسير وذلك لاشتمال القرآن على آيات الأحكام، ومن أجل ذلك فقد أفردها بعض العلماء بالتصنيف. ويقول ابن جزي [٩٧]: " وأما أحكام القرآن فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي. والمسائل الفقهية. وقال بعض العلماء إنّ آيات الأحكام خمسمائة آية. وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها"[٩٨]

٤/ الاسرائيليات:

أولاً/ تعريف الاسرائيليات لغة: لفظ الإسرائيليات جمع، مفردها: إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره،

---

(٩٢) انظر: مجموع الفتاوي، ابن تيمية (٣٩١/١٣).

(٩٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (٦٥٦/١) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٩٤) سورة طه، الآيات ٢٧-٢٨.

(٩٥) رواه البخاري ومسلم.

(٩٦) انظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ (٢١/٣).

(٩٧) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية- تقريب الوصول إلى علم الأصول). توفي سنة ٧٤١هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٥/٥).

(٩٨) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي الغرناطي (١٦/١) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي. الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

وإسرائيل هو: يعقوب عليه السلام أي عبد الله وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانياً/ تعريف الاسرائيليات اصطلاحا: إن مصطلح "الإسرائيليات" لدى علماء التفسير والحديث، يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث، من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني، حيث اختلق أهل الكتاب هذه الروايات والقصص الخرافية بخبث نية، وسوء طوية، ثم دسوها في التفسير والحديث، ليفسدوا عقائد المسلمين [٩٩]. أو هي كل ما دخل إلى التراث الإسلامي، وبخاصة في مجال التفسير، من روايات لها أصل ومصدر يهودي، يمكن الوقوف عليه، وأما مالم يوجد له أصل في مصادرهم، ولا يقبله العقل أو المنطق، وكان من روايات اليهود، أو ممن أسلم منهم، فهو من باب الخرافات والأساطير [١٠٠]. ومنهم من قال: "هذه الكلمة يهودية الأصل، وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية إلى الإسلام، وما نقل عن الأديان الأخرى إليه أيضا، ولكنها خصت بهذا الاسم لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه أولئك الإسرائيليون"[١٠١]. ومنهم من قال: "الإسرائيليات تطلق على جميع العقائد غير الإسلامية، ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري"[١٠٢]. والتقارب ملحوظ بين هذه التعريفات، غير أن التفاوت فيها من حيث الشمول وعدمه.

ثالثاً/ حكم رواية الإسرائيليات: يعتبر العلماء أن ما جاء من الإسرائيليات ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

(٩٩) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي (ص: ١٣-١٤) الناشر: مكتبة وهبة.

(١٠٠) انظر: الإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية، آمال عبدالرحمن محمد (ص: ٢٦) القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(١٠١) انظر: نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن، د. السيد أحمد خليل (ص: ٣٨).

(١٠٢) انظر: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، فان فلوتن (ص: ١٠٩).

القسم الأول: المقبول من الإسرائيليات:

وهو ما عُلم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوافق القرآن الكريم، وحكم هذه الروايات القبول وتؤخذ من أجل الاستئناس بها لا الاستدلال ومثاله ما جاء في صحيح البخاري، حيث قال: أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(١٠٣)، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا "(١٠٤)

القسم الثاني: المسكوت عنه من الإسرائيليات:

وهو ما جاءنا من إسرائيليات لا يُعلم صحتها ولا كذبها، لأنه لا يوجد في شريعتنا ما يؤيده أو يمنعه فنتوقف عنده، فلا نكذبه خوفا من أن نكذب بصدق ولا نصدقه خوفا من أن نصدق بكذب وباطل، وهو يشكل غالب الإسرائيليات، وهو لا فائدة من معرفته ومثاله: الروايات التي تتحدث عن تفصيلات سفينة نوح عليه السلام، والخوض في البقرة التي ذبحها يهود وثمنها والميت الذي ضربوه ببعضها ونوع الدراهم التي اشتروا بها يوسف، وتفصيلات أصحاب الكهف ولون الكلب الباسط يديه على باب الكهف وغيرها (١٠٥).

الثالث: المرفوض من الإسرائيليات:

---

(١٠٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٥.

(١٠٤) صحيح البخاري (٦/١٣٥) رقم (٤٨٣٨).

(١٠٥) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث، د. محمد السيد حسين الذهبي (ص: ٣٣) الناشر: مكتبة وهبة.

هو الروايات التي عرفنا كذبها واتضح تناقضها مع شريعتنا ومخالفة العقل فمثل هذه الروايات نضرب بها في عرض الحائط، فلا يجوز روايتها إلى على سبيل التحذير منها والابتعاد عنها، مثل: خرافة قرن الثور الذي تقف عليه الأرض، ومثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم(١٠٦). واختلف منهج المفسرين في تلقي هذه الإسرائيليات. فابن جرير الطبري قد ذكر الكثير منها دون أن يتعقبها بما ينبغي. وفعل كذلك عدد من المفسرين كابن أبي حاتم ممن لم يكن لهم همٌّ إلا الجمع فحسب دون التنقيح. أما المحققون فأكثرهم انتقدوا الإسرائيليات، لكنهم لم يقدروا على التخلص منها كلها، خاصة الذي اختلط بكلام الصحابة والتابعين، وصعب تمييزه. ومن هؤلاء المفسر الإمام ابن كثير الدمشقي. وكثرة النقل عن أهل الكتاب بدون تفرقة بين الصحيح والعليل دسيسة دخلت في ديننا واستفحل خطرها، كما علمنا أن قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم"(١٠٧) قاعدة مقرَّرة لا يصح العدول عنها بأي حال من الأحوال (١٠٨). وقال ابن كثير رحمه الله: " ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدته"(١٠٩).

ومن أهم ما ينبغي على المفسِّر أن يكون يقظاً إلى أبعد حدود اليقظة، ناقداً إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقة وروية حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن، ويتفق مع العقل والنقل، كما يجب عليه أن لا يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان في سُنَّة

---

(١٠٦) انظر: أصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك (ص: ٢٦١-٢٦٢) الناشر: دار النفائس، ١٤-٦هـ-١٩٨٦م.

(١٠٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠/٦) رقم (٤٤٨٥) لمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٠٨) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (١٣٣/١).

(١٠٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (/٣٣).

نبينا صلى الله عليه وسلم بيان لمجمل القرآن، كذلك يجب على المفسِر أن يلحظ أن الضروري يتقدَّر بقدر الحاجة، فلا يذكر في تفسيره شيئاً من ذلك إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال، ليحصل التصديق بشهادة القرآن فيكف اللسان عن الزيادة. وإذا اختلف المتقدمون في شيء من هذا القبيل وكثرت أقوالهم ونقولهم، فلا مانع من نقل المفسِر لهذه الأقوال جميعاً، على أن ينبه على الصحيح منها، ويبطُل الباطل، وليس له أن يحكى الخلاف ويُطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، لأن مثل هذا العمل يُعَد ناقصاً لا فائدة فيه ما دام قد خلط الصحيح بالعليل، ووضع أمام القارئ من الأقوال المختلفة ما يسبب له الحيرة والاضطراب. على أن من الخير للمفسِر أن يعرض كل الإعراض عن هذه الإسرائيليات وأن يمسك عما لا طائل تحته مما يُعَد صارفاً عن القرآن، وشاغلاً عن التدبير في حكمه وأحكامه [١١٠].

٥/ علوم القرآن:

أولاً/ تعريف العلم في اللغة: مصدر قولهم: علم يعلم علما وهو مأخوذ من مادّة (ع ل م) الّتي تدلّ على أثر بالشّيء يتميّز بها عن غيره[١١١]. قال الرّاغب[١١٢]: "وعلّمته وأعلمته في الأصل واحد، إلّا أنّ الإعلام اختصّ بما كان بإخبار صحيح، والتّعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتّى يحدث منه أثر في نفس المتعلّم، وقول الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١١٣]، فعليم يصحّ أن يكون إشارة إلى الإنسان العالم الّذي يكون فوق آخر، ويكون تخصيص لفظ العليم الّذي هو للمبالغة تنبيها إلى أنّه بالإضافة إلى الأوّل عليم وإن لم يكن بالإضافة إلى من فوقه كذلك، ويجوز أن يكون قوله «عليم» عبارة عن الله تعالى، وقول

(١١٠) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (١٣٤/١).

(١١١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ١٠٩). المفردات، الراغب الأصفهاني (٥٤١/٢).

(١١٢) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني، أديب، إمام من حكماء العلماء، اشتهر بالتفسير واللغة. أصله من أصفهان، وعاش ببغداد. حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة. من مؤلفاته (تفسير القرآن) توفي سنة (٥٠٢هـ). انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة (٥٦/٢).

(١١٣) سورة يوسف، آية ٧٦.

الله تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾[١١٤] فيه إشارة إلى أنّ لله تعالى علما يخصّ به أولياءه. والعالم في وصف الله تعالى: هو الّذي لا يخفى عليه شيء"[١١٥]. وقال ابن منظور[١١٦]: " العلم نقيض الجهل، وعلمت الشّيء أعلمه علما: عرفته"[١١٧]. والعلّام والعلّامة: النّسّابة وهو من العلم، وعلم بالشّيء: شعر. يقال: ما علمت بخبر قدومه: أي ما شعرت. وعلم الأمر وتعلّمه: أتقنه. وعلم الرّجل: خبره، وأحبّ أن يعلمه أي يخبره[١١٨].

ثانياً/ تعريف العلم اصطلاحا: قال الجرجانيّ: "العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[١١٩]. وقال الفيروز اباديّ: العلم ضربان: **الأوّل**: إدراك ذات الشّيء. ويتعدّى إلى مفعول واحد. **والثّاني**: الحكم على الشّيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه. ويتعدّى إلى مفعولين[١٢٠]. والعلم من وجه آخر ضربان: نظريّ وعمليّ، ومن وجه ثالث: عقليّ وسمعيّ[١٢١]. وقال الكفويّ[١٢٢]: "المعنى الحقيقيّ للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلّق هو المعلوم، وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة، وقد أطلق لفظ العلم على كلّ منها إمّا حقيقة عرفيّة، أو اصطلاحيّة، أو مجازا مشهورة"[١٢٣]. وقال

---

(١١٤) سورة الجن، الأيات ٢٦-٢٧.

(١١٥) المفردات، الراغب الأصفهاني (٤٣٢/٣).

(١١٦) هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. قال ابن حجر: "كان مغرى باختصار كتب الأدب المطوّلة"، من مؤلفاته (مختار الأغاني-مختصر مفردات ابن البيطار). توفي سنة (٧١١هـ). انظر: الأعلام، الزركلي (١٠٨/٧).

(١١٧) لسان العرب، ابن منظور (٥/ ٣٠٨٣- ٣٠٨٤).

(١١٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٥/ ١٩٩٠- ١٩٩١).

(١١٩) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (١١٩/١) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(١٢٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى (٨٨/٢).

(١٢١) انظر المرجع السابق.

(١٢٢) هو: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد. سنة (١٠٤٩هـ). انظر: الأعلام، الزركلي (٣٨/٢).

(١٢٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (٦١١/١) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

المناويّ: "العلم: هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل النّقيض، أو هو حصول صورة الشّيء في العقل"[١٢٤].

وقال أبو حامد الغزاليّ[١٢٥]– رحمه الله تعالى–: "العلم هو معرفة الشّيء على ما هو به"[١٢٦].

ثالثاً/ تعريف القرآن الكريم:

القرآن هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس [١٢٧]. وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم [١٢٨]. كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [١٢٩]. **وتحتمل إضافة العلوم إلى القرآن احتمالين:**

- **الأول:** أن يراد بها عموم (المعلومات) التي تنطوي تحت ألفاظ القرآن، فأي معلومة نصَّ عليها أو أشار إليها فهي من علومه؛ أي: معلوماته، وهذا المعنى ذهب إليه بعض العلماء.
- **الثاني:** جملة من أنواع المعلومات المضبوطة ضبطاً خاصّاً المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه وقراءاته ومكيّه ومدنيّه وأسباب نزوله، وما إلى ذلك [١٣٠].

---

(١٢٤) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (٢٤٦/١) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

(١٢٥) هو: مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن أَحمد، الإمام زين الدّين أبو حَامد الغزّاليّ، الطّوسيّ، الفقيه الشّافعيّ، حُجّة الإسلام. فيلسوف، متصوف، من أعيان فقهاء الشافعية. توفي سنة (٥٠٥هـ). انظر: معجم المفسرين، عادل نويهض (٦١٢/٢).

(١٢٦) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٢٩٨/١) الناشر: دار المعرفة – بيروت

(١٢٧) انظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو (٨/١) الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

(١٢٨) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (١٦/١) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

(١٢٩) سورة النحل، الآية ٨٩.

(١٣٠) انظر: المحرر في علوم القرآن، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (٢٤/١) الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

رابعاً/ التعريف بعلوم القرآن:

علوم القرآن علم عربي إسلامي في نشأته وتكوينه، بدأ مع نزول القرآن الكريم، وما زال ينضج ويتكامل حتى قيام الساعة، وهو عبارة عن مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته، ومحكمه ومتشابه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه، وأساليبه ودفع الشبه عنه، وتدور موضوعاته حول القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف [١٣١]. والوقوف على هذه العلوم والاضطلاع بها من أهم الأدوات التي لابد منها في عملية التفسير حيث أن معرفة أسباب النزول تمكن المفسر من معرفة الظروف والملابسات التي واكبت نزول الآية وبالتالي تساعده كثيراً على فهم الآيات الفهم الصحيح الدقيق. كما أن معرفة المكي والمدني تعين في إدراك معاني الآيات، وكذلك هو الحال في معرفة الناسخ والمنسوخ فإنه لها أهميتها القصوى في تفسير اليات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد، وتمكن المفسر من تمييز محكم آيا الذكر الحكيم من غيره.

٦/ علم الكلام:

أولاً/ تعريف الكلام في اللغة:

اسم جنس إفراديّ يقع على القليل والكثير، وكلّ ذلك مأخوذ من مادّة (ك ل م) الّتي تدلّ على معنيين أصليّين: **الأوّل:** نطق مفهم، **والآخر:** الجرح [١٣٢]. قال ابن فارس: "ثمّ يتّسعون فيسمّون اللّفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصّة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة، ويجمعون الكلمة كلمات وكلما، ومن الأصل الآخر قولهم: الكلم الجرح، والكلام الجراحات، وجمع الكلم كلوم، ورجل كليم (مجروح)، والجمع كلمى"[١٣٣].

(١٣١) انظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستور (٨/١).

(١٣٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (٦٦/١).

(١٣٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (١٢١/٥).

ثانياً/ الكلم والكلام والكلمة اصطلاحاً:

قال الجرجانيّ: "الكلام: ما تضمّن كلمتين بالإسناد"[١٣٤]. والكلمة: "هي اللّفظ الموضوع لمعنى مفرد"[١٣٥]. وقال الكفويّ: "الكلمة: تقع على واحد من الأنواع الثلاثة: الاسم والفعل والحرف وتقع على الألفاظ المنظومة والمعاني المجموعة، ولهذا استعملت في القضيّة والحكم والحجّة، وبجميع هذه المعاني ورد التّنزيل"[١٣٦]. وهو في اصطلاح النّحاة: المعنى المركّب الّذي فيه الإسناد التّامّ، وعبّر عنه أيضا بأنّه ما تضمّن من الكلام إسنادا مفيدا مقصودا لذاته [١٣٧].

ثالثاً/ تعريف علم الكلام:

علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج، ودفع الشبه، والمراد بالعقائد: ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخصم، وإن خطأناه لا نخرجه من علماء[١٣٨]. ويشير إلى أهميته الإمام الغزالي فيقول: "اعلم أن العلوم تنقسم إلى عقلية. وإلى دينية كالكلام والفقه وأصوله وعلم الحديث وعلم التفسير... والكلام هو المتكفل بإثبات مبادئ العلوم الدينية كلها، فهي جزئية بالإضافة إلى الكلام، فالكلام هو العلم الأعلى في الرتبة إذ منه النزول إلى هذه الجزئيات فإن قيل: فليكن من شرط الأصولي والفقيه والمفسر والمحدث أن يكون قد حصل علم الكلام لأنه قبل الفراغ من الكلي الأعلى كيف يمكنه النزول إلى الجزئي الأسفل؟ قلنا: ليس ذلك شرطا في كونه أصوليا

---

(١٣٤) التعريفات، الجرجاني (١٩٤/١).

(١٣٥) انظر: التوقيف على مهمات التعريف، المناوي (٢٨٣/١).

(١٣٦) الكليات، الكفوي (١٠٠/٤).

(١٣٧) انظر: التوقيف على مهمات التعريف، المناوي (٢٨٣/١).

(١٣٨) انظر: المواقف في علم الكلام، عضد الدين الأيجي (٧/١) الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

وفقيها ومفسرا ومحدثا وإن كان ذلك شرطا في كونه عالما مطلقا مليئا بالعلوم الدينية، وذلك أنه ما من علم من العلوم الجزئية إلا وله مباد تؤخذ مسلمة بالتقليد في ذلك العلم ويطلب برهان ثبوتها في علم آخر"(١٣٩).

٧/ الصناعة الحديثية:

أولاً/ تعريف الحديث لغةً: حديث: اسم مفعول من مادة (ح د ث)، على وزن (فعيل) كـ: (غسيل) و (حبيب) و (جريح) بمعنى مغسول ومحبوب ومجروح. والحديث: هو الشأن الحادث أي الذي وقع مؤخراً. أو هو: ما كان بعد أن لم يكن وعلى هذا أطلق لفظ (الحديث) ليكون مقابلاً لكلمة (القديم). فالحديث ضد القديم .كما أُطلق (الحديث) ليدل على ما أحدثه الإنسان من كلام. فكلام المرء حادث ... (١٤٠).

ثانياً/ تعريف الحديث اصطلاحاً: أطلق لفظ (الحديث) ليدل على ما أُثرَ وأُسند إلى رسول الله ﷺ من كلام. فكل كلام نبوي جاء بعد قولنا: (قال رسول الله) أو (عن رسول الله) أو قول صحابي (سمعت رسول الله يقول).. إلخ فهو حديث نبوي .وتوسع معنى الحديث – في المصطلح – ليدل على كل قول أو فعل أو تقرير أو وصف خُلُقي أو خِلقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وعليه يمكن تعريف علم الحديث إجمالا: "بأنه كل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من فعل أو قول أو صفة خَلقية أو صفة خُلقية(١٤١)، وتعد كتب الحديث أحد أهم مصادر المفسر، فلا يستغني المفسر عن الاطلاع على كتب السنة لاستخراج ما يقف عليه من تفسير نبوي، أو تفسير السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين، وأتباعهم. وقال شيخ الإسلام–رحمه الله–: " إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي:

(١٣٩) المستصفى، الغزالي (٧/١).

(١٤٠) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٤٣/٢).

(١٤١) انظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (٣٢٢/١)، الناشر: دار الفكر العربي.

كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[١٤٢] والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم... إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"[١٤٣]. وقد دخل علم التفسير على أنه باب من أبواب الكتب الحديثية، فمثلاً: نجد سنن سعيد بن منصور فيها كتاب التفسير، وصحيح البخاري فيه كتاب التفسير، وسنن الترمذي فيها كتاب التفسير، وكسنن النسائي وغير ذلك من كتب السنة. يقول الإمام ابن جزي: " وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين:

- **الوجه الأول**: أن كثيراً من الآيات في القرآن نزلت في قومٍ مخصوصين، ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم، من الغزوات والنوازل والسؤلات، ولا بد من معرفة ذلك لِيُعْلَم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت؟ فإن الناسخ يُبْنَى على معرفة تاريخ النزول لأن المتأخر ناسخ للمتقدم.
- **الوجه الآخر**: أنه ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم كثيرٌ من تفسير القرآن، فيجب معرفته لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس"[١٤٤].

كتب الحديث أحد أهم مصادر المفسر، فلا يستغني المفسر عن الاطلاع على كتب السنة لاستخراج ما يقف عليه من تفسير نبوي، أو تفسير السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين، وأتباعهم. قال شيخ الإسلام–رحمه الله–: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن.. فإن أعياك

---

(١٤٢) سورة النساء، الآية ١٠٥.

(١٤٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية الحراني (٣٩/١-٤٤) الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

(١٤٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي (٦٦/١) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: "كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن".. والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة.. وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم.. إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"(١٤٥).

وعلم مصطلح الحديث يساعد المفسر على تمييز الصحيح من الضعيف عند تحرير إسناد من الأسانيد. كما يفيد هذا العلم عند التعامل مع كتب التفسير المسندة، كتفسير الطبري، وابن أبي حاتم، والدر المنثور، فقد يحتاج إلى النظر في صحة الإسناد، إذا نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو كان التفسير متعلقًا بالحلال والحرام، أو إثبات قراءة صحابي يترتب عليها معنى من المعاني (١٤٦). ويضاف إلى أهمية علم الحديث بالنسبة للمفسر، أن التفسير النبوي لا بد من التثبّت فيه من صحة نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدراسة إسناده وتخريجه والنظر في أحكام أهل العلم فيه (إن وُجدت) (١٤٧)، ولا يجوز أن يُعتَمَدَ عليه اعتمادَنا على النصِّ النبوي؛ إلا بعد التثبّت من كونه نبويًّا حقًّا. ويُمكن الاكتفاء بأحكام أهل الاختصاص، لمن لم يكن منهم، ولا بُدّ من الترجيح بين أقوالهم إذا ما اختلفوا، أو تقليدِ أولاهم بالتقليد، لمن لم يعرف دليلَ الترجيحِ بين أقوالِهم ووَجْهَه وكل ذلك لا بد له من إحاطة طالب علم التفسير بطرف من علم المصطلح.

---

(١٤٥) مجموع الفتاوي، ابن تيمية (٣٦٣/١٣)

(١٤٦) انظر: جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر (١٢٢/١) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

(١٤٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (١٣٨/١) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

كما أن المفسر بحاجة إلى الوقوف على أحوال رجال التفسير ليعرف من يحل عنه النقل ومن لا يحل، وهو ما يسمى بعلم "الجرح والتعديل" أحد أهم فروع علم الحديث.

٨/ الصناعة الأصولية:

اولاً/ تعريف الأصول لغة: الأصول: جمع أصل، وهو في اللغة أسفل الشيء، أو ما يبنى عليه غيره، سواء كان الابتناء حسيًّا، كالأساس الذي يشيد عليه البناء، فهو أصل له، أم كان الابتناء عقليًّا، كابتناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية(١٤٨). قال تعالى: "ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء"(١٤٩).

ثانياً/ تعريف علم أصول الفقه: هو العلم بأدلة الأحكام، ومعرفة وجوه دلالتها عليها من حيث الجملة (١٥٠). أو هو: "هو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، أوهي مجموعة القواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية "(١٥١). والجانب الأصولي في قواعد التفسير أخذ الحيز الأكبر من القواعد مقارنة مع غيره، ولا يمكن الإعراض ما للأصوليين من دور في معالجة كثير من القضايا المتعلقة بالنص القرآني، كقضايا المجمل والمبين وغيرها، فإيراد بعض القواعد الأصولية في التفسير أمر ظاهر وجلي، ولعل الغاية عند وضعها أن توظف في بيان معاني القرآن الكريم وما يزيد عليه من استخراج الأحكام ونحوها بحسب المقصد فيها، وإيراد مثل هذه القواعد في التفسير والأصول هو إيراد مشترك، فقد تشترك بعض المسائل بين العلوم

---

(١٤٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ابن مالك الطائي الجياني (٤٣٢/١) الناشر: دار الجيل – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١١. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٣٢٣/١) الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(١٤٩) سورة الأحقاف، آية ١٢.

(١٥٠) انظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي (١٩/١).

(١٥١) انظر: التقرير والتحبير، ابن أمير حاج (٢٧/١) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

المختلفة، ومنها القواعد المشتركة بين التفسير وأصول الفقه كقواعد النسخ، والمحكم والمتشابه، والمنطوق والمفهوم[١٥٢]. ويمكن أن نحدد وجه حاجة المفسر للقواعد الأصولية بناءً على الوظائف التي تقوم بها هذه القواعد من خلال ما يلي:

١. **الوظيفة التفسيرية**، ونعني بالوظيفة التفسيرية أن مقاصد علم أصول الفقه تقديم منهج متكامل لفهم نصوص الشريعة وبيانها، وقد وضح ابن عاشور علاقة أصول الفقه بالتفسير بقوله: " وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير، ولكنهم يذكرون أحكام الأوامر والنواهي والعموم وهي من أصول الفقه، فتحصل أن بعضه يكون مادة للتفسير وذلك من جهتين: **الأولى** هي أن علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة، وقد عد الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه فلا جرم أن يكون مادة للتفسير. **والثانية**: أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها [١٥٣].

٢. **الوظيفة الاستنباطية**: وهذه الوظيفة هي أبرز وظائف علم أصول الفقه، حتى إن بعض الأصوليين يقتصرون عليها في تعريفهم لعلم أصول الفقه، كما في قولهم: العلم بالقواعد التي يُتوصَّل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية[١٥٤]. وعليه فإن قواعد هذا العلم تعين المفسر على حسن الفَهم لكلام الله تعالى ودقة الاستنباط منه؛ "إذ ليس لأحد

---

(١٥٢) انظر: علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف (١٦/١)، الناشر: مكتبة الدعوة – شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم). الطبعة: عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

(١٥٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/١) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(١٥٤) انظر: القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، محمود حامد عثمان (ص: ٦٠) الناشر: دار الزاحم للنشر والتوزيع، الطبعة: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

أن يستنبط من القرآن على وَفق ما يهوى، بل هناك قواعد عامة وخاصة تحكمه وتقيّده"[١٥٥].

فمهمة الأصولي هي تأسيس قاعدة النص القرآني، وعليها يكون استنباط الحكم، بينما مهمة المقارن إفادة ما توصل إليه الأصولي من معطيات رأيه الذي يحاول الكشف عن مراد الله مراعيا سبب النزول ومناسبته، مما يشير إلى عمومية المقارنات في منهجية واتجاهات المفسر وخصوصيته عند الأصولي [١٥٦].

٩/ قواعد التفسير:

بينا في مواضع سابقة من هذا البحث تعريف كلا من (القاعدة) و (التفسير) ونكتفي هنا بإيضاح معنى (قواعد التفسير) باعتباره لقبا على فن معين من العلم والمراد: الأحكام الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها [١٥٧].

الفرق بين التفسير وقواعد التفسير:

قواعد التفسير هي تلك الضوابط والكليات التي تُلتزم كي يتوصل بواسطتها إلى المعنى المراد. بينما التفسير فهو إيضاح المعاني وشرحها المبني على تلك الأصول والضوابط المسماة بالقواعد. ويمكن تشبيه علاقة أصول التفسير وقواعده بالتفسير بعلاقة النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية، فكما أن النحو ميزان يضبط القلم واللسان، ويمنع صاحبه من الخطأ في النطق والكتابة، فكذلك قواعد التفسير هي ثوابت وموازين تضبط الفهم لكلام الله تعالى، وتمنع المفسر من الخطأ في تفسيره [١٥٨].

---

(١٥٥) انظر: منهج الاستنباط من القرآن الكريم، د. فهد بن مبارك الوهبي (ص: ٢٣٨).

(١٥٦) التفسير المقارن "دراسة تأصيلية تطبيقية "، محمود عقيل العاني (ص: ٢١٠).

(١٥٧) انظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد السبت (٣٠/١)، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(١٥٨) انظر: المرجع السابق.

موضوع قواعد التفسير وغايته: موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، وغايته فهم معاني القرآن كي تُمثل فيحصل الفوز في الدارين [١٥٩].

استمداد قواعد التفسير:

١. القرآن الكريم عن طريق استقراء بعض القضايا فيه.

٢. السنو النبوية المطهرة.

٣. بعض ما أُثر من الصحابة رضي الله عنهم في الكلام على التفسير، بحيث أنه يمكن أن نعرف منه بعض الأصول التي يسيرون عليها في استنباط المعاني.

٤. أصول الفقه. لأن حقيقتها استقراء كليات الأدلة، حتى تكون عند المجتهد نصب عين، وعند الطالب سهلة الملتمس [١٦٠].

٥. اللغة والبيان والنحو والتصريف. لأن علوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة، فحقيقتها أنها فقه للتعبد بالألفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى [١٦١].

٦. كتب علوم القرآن مثل: البرهان والإتقان، وبعض مقدمات كتب التفسير مثل: التحرير والتنوير، ومقدمة كتاب التسهيل لابن جزي حيث ذكرت فيها جملة من قواعد التفسير [١٦٢].

أهمية قواعد التفسير بالنسبة للمفسر:

أشار شيخ الإسلام إلى أهمية القواعد عموما بقوله: " لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات

---

(١٥٩) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٥/١) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(١٦٠) انظر: الاعتصام للشاطبي (٤٨/١) الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

(١٦١) انظر: المرجع السابق.

(١٦٢) انظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد السبت (٤١/١).

وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم"[١٦٣]. ويقول الإمام الزركشي: " أما بعد: فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها وأدعى لضبطها وهي إحدى حكم العدد التي وضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التعليم لا بد له أن يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه"[١٦٤]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أهميتها تعرف بمعرفة أهمية موضوعها وهو القرآن الكريم؛ إذ هو أصل العلوم وفيه خير العاجل والآجل، فإذا فهمه العبد فهما صحيحا حاز على علما عظيما، ه علم البتة. ولذا كان الرجل إذا حفظ سورة البقرة وآل عمران يعظم في أعين الصحابة، عن أنس–رضي الله عنه–قال: " كان الرجل إذا قرأ: البقرة، وآل عمران، جد فينا – يعني عظم –"[١٦٥]. فمن عرف قواعد التفسير حصلت له عدة فوائد[١٦٦]:

١– تنفتح له معاني قرآنية كثيرة جدًّا.

٢– يصير بيده آلة يتمكن ا من الاستنباط والفهم.

٣– يصبح عنده ملكة تجعله يحسن اختيار الأقوال المختلفة، حتى ما كان مختلفا اختلاف تنوع.

٤– ضبط التفسير بقواعده الصحيحة.

١٠/ قواعد الترجيح:

أولاً/ تعريف الترجيح لغة: قال ابن فارس: "الراء والجيم والحاء، أصل واحد يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجح الشيء وهو راجح إذا رزن[١٦٧]. وأرجح الميزان أي: أثقله حتى مال[١٦٨].

(١٦٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٣/١٩).

(١٦٤) المنثور في القواعد الفقهية، الزركشي (٦٦/١) الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(١٦٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك (٢٧٤/١٩) رقم (١٢٢١٥).

(١٦٦) انظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد السبت (٣٦/١–٣٨).

(١٦٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٨٩/٢).

(١٦٨) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٤٤٥/٢).

ثانياً/ تعريف الترجيح اصطلاحا: تقوية إحدى الإمارتين على الأخرى لدليل [١٦٩]. وفي علم التفسير: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف أو رد ما سواه، لأنه إذا ضعف غيره من الأقوال صار ذلك حصرا للصواب فيه، وهذا من أوجه الترجيح [١٧٠].

ثالثاً/ التعريف بالمركب الإضافي "قواعد الترجيح": قواعد الترجيح عن المفسرين هي: ضوابط وأمور أغلبية يُتوصل به إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى [١٧١].

رابعاً/ موضوع "قواعد الترجيح": موضوعا أقوال المفسرين المختلفة في كتاب الله تعالى. وتستمد هذه القواعد من أصول الدين، ومن لغة العرب، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، وعلوم الحديث، وعلوم القرآن، واستقراء ترجيحات أئمة التفسير. والعلم بقواعد الترجيح تحقق للمفسر غايات عدة، أهمها:

- معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله تعالى.
- تصفية وتنقية كتب التفسير مما علق ببعضها من أقوال شاذة وضعيفة، أو مدسوسة فيها لمذهب عقدي.

(١٦٩) انظر: شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي (٦١٦/٤) المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

(١٧٠) انظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد السبت (٣٥/١).

(١٧١) انظر: المرجع السابق (ص: ٣٩).